قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية
الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552

النزعة الصوفية في الفن التشكيلي الجزائري

Sufi inclination in Algerian plastic art

محمد مخالدي[1]، *، عزوز بنعمر[2]
[1] جامعة وهران 1 أحمد بن بله - الجزائر
[2] جامعة وهران 1 أحمد بن بله - الجزائر

Key words:
le mysticisme
Plastic art
Abstraction
Spirituality
Symbols.

Abstract

This research deals with the issue of Sufism as an intellectual and philosophical trend to become a social reality, and its repercussions were evident through the arts in general, and we devoted our research to reveal the extent of influence by the Algerian plastic artists with this orientation that has spread and spread in North Africa and Algerian society.

The researcher has come to the manifestation of Sufi tendency in many fine art works of an important number of Algerian plastic artists, through the use of mystical symbols and signs or a tendency to abstract style in which the people of art agreed that it was the mystical face of plastic art.

معلومات المقال
تاريخ المقال:
الإرسال : 07-02-2020
القبول : 08-08-2020
الكلمات المفتاحية:
التصوف
الفن التشكيلي
التجريدية
الروحانية
الرموز

ملخص

يتطرق هذا البحث إلى موضوع التصوف كنزعة فكرية وفلسفية لتصبح واقعا اجتماعيا ظهرت انعكاساته جلية من خلال الفنون بصفة عامة، وقد خصصنا بحثنا للكشف عن مدى التأثر من قبل الفنانين التشكيليين الجزائريين بهذا التوجه الذي عمّ وانتشر في الشمال الأفريقي والمجتمع الجزائري،

و توصل الباحث إلى تجلي النزعة الصوفية في الكثير من الأعمال الفنية التشكيلية لعدد مهم من التشكيليين الجزائريين، من خلال استخدام الرموز والعلامات الصوفية أو الميل إلى الأسلوب التجريدي الذي اتفق أهل الفن على أنه الوجه الصوفي للفن التشكيلي.

1- مقدمة

عرفت ظاهرة التصوف حضورها الواضح في كل المجتمعات قديما وحديثا وفي كل الأديان على اختلافها، على أنها فلسفة عميقة غائرة في عالم الروحانية تنشأ كنتيجة مناقضة للمنطق المادي، وهي ترنو إلى الحفاظ على سلطة الروح ومكانتها في حياة الإنسان، حين يسود الاعتقاد بالملموسات والماديات، وتنتج فكرا صافيا مجردا من كل الزوائد والشوائب المادية، ونظرا لمبرراته الواضحة فإن أتباعه موجودون في كل مكان وفي كل زمان، كما تتجلى صوره في كل المجالات ومنها الفنون، فنجده في الشعر كما في الغناء والرقص وفي الفنون التشكيلية، فقد تميز التصوف بمظهره الجمالي والوجداني في الأدب وشتى الفنون، وبالأخص من خلال شعراء الحب الإلاهي والإشراق ووحدة الوجود، ويعد الفن التشكيلي واجهة حقيقية لظاهرة التصوف في المجتمع بما أن الفن نابع من ثناياه معبرا بكل صدق عن توجهاته العميقة، لم يتخلف التشكيليون في التأثير والتأثر بالنزعة الصوفية التي يذوب فيه الفن والجمال ليصبح وجدانا يسموا بالروح إلى أبعد الحدود وأسماها.

* Corresponding author at: University Oran1 - ALGERIA
Email : makhaldi4@gmail.com

انطلاقا من شمولية ظاهرة التصوف وتأثيرها الواضح على شتى الجوانب داخل المجتمعات تتركز إشكالية هذا البحث حول مظاهرها وتجلياتها في الفن التشكيلي الجزائري؟. بالنظر إلى الحضور القوي للنزعة الصوفية في المجتمع الجزائري هل استطاع الفنان التشكيلي الجزائري أن يكون واجهة حقيقية وصادقة عن التوجه الصوفي للمجتمع؟.

وفي ظل شح الدراسات والأبحاث المتعلقة بالفن التشكيلي الجزائري نرى أن هذا الموضوع يكتسي أهمية بالغة كونه يساهم في رصد ملامح الفن التشكيلي الجزائري، كما يعطي هذا البحث تفسيرا وفهما للكثير من المواضيع والرموز في الأعمال الفنية التشكيلية، مما يساعد النقاد والباحثين في دراسة وفهم الفن التشكيلي الجزائري.

يهدف هذا البحث إلى وضع صورة حقيقية لجانب مهم من الفن التشكيلي الجزائري، وتحديد تلك التجليات الصوفية من خلال مختلف الرموز والعلامات وشتى الإشارات الدالة عليها، عملا على توضيح ذلك الارتباط الأزلي بين الفن والمجتمع وكيف يخدم الفن أصالة الفكرة وحقيقتها، ثم يضع لها حيزا في مضامينه التي تتعدى الماضي لتجعل منها حاضرة حضورا أزليا بين طيات الفنون التي تحفظ ذاكرة الأمة وتاريخها.

تحديد المصطلحات

التصوف : أصل كلمة التصوف نسبها البعض إلى رجل زاهد متعبد في الجاهلية كان يلقب بـ **صوفة** واسمه هو الغوث بن بركان أو في رواية الغوث بن مركما أشار **الزمخشري** في أساس البلاغة و**الفيروزي أبادي** في قاموسه المحيط إلى أنّ قوماً في الجاهلية سُمُّوا بهذا الاسم وكانوا يعبدون الله في الكعبة ومن تشبه بهم سمي **صوفي**، ويعتبر هذا دليلاً على أنّ النسك كان مذهبا معروفا في الجاهلية ومنهم نشأت طبقة المتحنفين مثل ورقة ابن نوفل". (**داود**، 2004)

أما أصل الكلمة في اللغة حسب ما تذكره القواميس أنها "تشتق من فعل صوّف جعله صوفيا، وتصوّف صار صوفيا، أي تخلق بأخلاق الصوفية. والصوفية فئة من المتعبدين، واحدهم الصوفي." (**والاعلام**، 2000).

وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته المتصوفة وقدم توضيحا لمعنى هذه التسمية بقوله: "والأظهر إن قيل بالاشتقاق إنه من الصوف وهم في الغالب مختصون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف". (ابن خلدون) مما يؤكد ذلك التميز في الصفات والعادات لديهم خاصة المتعلقة بالزهد في العيش والعزوف عن الدنيا وأهوائها.

إلا أننا نجد عند الغرب تأويلا آخر "ويذهب بعض المستشرقين أن كلمة صوفي مأخوذة من **صوفيا** اليونانية بمعنى الحكمة وعندما فلسفت العرب عبادتهم حرفوا الكلمة وأطلقوها على رجال التعبد والفلسفة الروحية، أو مأخوذة من **ثيوصوفيا** بمعنى الإشراق أو محب الحكمة الإلهية ووافق هذا الرأي المستشرقين **نولدكه وفون هارمر**"(**خفاجي**، 1938). إلا أنّ هذا الطرح لا يخلوا من الأنانية الغربية في تبني الأفكار وانتسابها.

ولعل خلاصة تعريف التصوف ما ذهب إليه أحد الباحثين حين قال: "أرفع تجربة دينية تكمن في معرفة الله معرفة خاصة جداً، بصورة تجريبية لا عقلية منطقية". (**سامي**، 1978)

مجمل القول في أن التصوف ظاهرة تركت بصمات واضحة في تاريخ الأمم والشعوب وساهمت في إثراء الفكر والنقاش داخل المجتمع في شتى الأمور المتعلقة بالدين والسياسة والاقتصاد والفن.

التجريدية: "اتجاه حديث يقوم على تصوير فكرة الفنان أو شعوره تصويراً لا يعتمد على محاكاةٍ لموضوع معين، مع استخدام الألوان أو الأشكال الهندسية الأنغام الموسيقية ،والتجريد: هو عملية اختزال أو إضافة للشكل أو المظهر الخارجي وإظهاره بصورة مغايرة لصورته الحقيقية أو الواقعية" (**الكلاباذي**، 1993). وتعتبر أحد أهم الأساليب الفنية الحديثة، ظهرت أولا على يد الفنان الروسي **فاسلي كاند نسكي** سنة 1910 وقد سمي أسلوبه بالتجريدية التعبيرية، وجاء هذا الأسلوب كترجمة موسيقية للفن التشكيلي إذ استوحاه كاند نسكي من الموسيقى، كما قام الفنان الهولندي **بيات مون دريون** (Piet Mondrian) بوضع أسس أسلوب تجريدي مختلف يعتمد الخطوط والأشكال الهندسية كعنصر أساسي في العمل الفني وسمي أسلوبه بالتجريدية الهندسية وقد استوحاها من فنون العمارة.

الفن التشكيلي : أحد أهم الممارسات الفنية التي دأب عليها الإنسان منذ وجوده الأول منذ أن كان يستخدم الحجارة ويقطن الكهوف، والتشكيل هو تمثيل الأشياء من الطبيعة أو المبتكرة بواسطة الخامات المختلفة، وينقسم هذا الفن إلى عدة فروع منها النحت والرسم والنقش والفسيفساء ....

أصبح الفن التشكيلي ولفترة طويلة من تاريخ الإنسانية الحامل والحافظ لتاريخ الإنسان وذاكرته وهو ما أكده **هربرت ريد*** في كتابه **معنى الفن** حيث قال: "لا يوجد بين أنواع النشاط الإنساني نشاط خالد خلود الفنون التشكيلية (plastic Arte) ولم يبق من الماضي شيء يساويها قدرا بصفتها مفتاحا لتاريخ المدنية...". (**ريد**، 00)

2ـ الإطار النظري

1.2 التصوف في الفكر الإسلامي

يعد التصوف جزءا مهما من الميراث الفكري العربي الإسلامي في أغلب مراحله المشرقة، فقد أفرز هذا التوجه العديد من المتصوفة أصحاب لفكر وفلسفة مثل الحسن البصري والحلاج و ابن دينار وإبراهيم الثوري وابن عربي وغيرهم... وقد تناوله العديد من العلماء والمفكرين نذكر منهم (الطوسي والكلاباذي والقيشري وتناوله العديد من الفلاسفة بالدراسة مثل ابن

سينا والغزالي وابن خلدون، وتجادل فيه الفقهاء وعلماء الكلام كما تطرق له الكثير من المستشرقين. ويعتبر **الجاحظ** أول من استعمل لفظ **صوفي** عندما تكلم عن النُسّاك وأنّ **أبا هاشم الكوفي** أول من لبس الصوف وأطلق عليه متصوفاً لزهده في الدنيا". (**أحمد**، 1993)

وقد اتخذ التصوف منحا جديدا يتيح التعبير عن العواطف الدينية والمشاعر الروحانية التي تعتمد منطق الرؤيا والإشراق والمحبة ليتبنى مبدأ الإلهام فيصبح بذلك شبيها أو جزءا من النبوة. ومن أشهر المتصوفة الحلاج الذي كان يمتلك حدسا ومعرفة صوفية من خلال تأكيده على اتحاد الذات الإنسانية بالذات الإلهية، والوصول بذلك حد العشق الإلهي، والحب لدى الحلاج ليس الطّاعة المطلقة فقط، بل "الحب أن تقف أمام الحبيب إذا ما سلبت صفاتك، ويكون كمالك من كماله". (**عبد الرحمن**، 1429هـ).

أما ابن عربي (560هـ638-هـ) فقد مزج بين التصوف والفلسفة، بين الحقيقة والحكمة، لتحقيق وحدة الوجود كمضمون حقيقي لتجربته، فقد أكد بأنّ لا موجود في الحقيقة إلاّ الله عزّ وجل وكل ما سواه تجليات منه ومظاهر عنه وظِلال له لا حقيقة لها في الوجود إلاّ به. (**القادر**، 2005)

نجد أنّ الجمال الحقيقي لدى المتصوفة هو الجمال الإلهي وهو صفة أزلية عند الله، والجمال مطلق ومقيد، فالمطلق ما يستحقه الحق وينفرد به، أما المقيد فكلي وجزئي، فالكلي يفيض من الله على العوالم والنفوس وسائر الأشياء، والجزئي نور علوي يسنح للنفس عند إدراك الصورة الجميلة، فتبتهج به" (**ابن عربي، محي الدين**، 1997)

أما الكندي المتوفي سنة 252 هـ فيرى أن النفس بسيطة، وتامّة، وجوهرها من الجوهر الإلهي، والنفس متميزة من البدن، وهي جوهر روحي إلهي. (**ابراهيم**، 199) والكندي يسمو سمو الصوفية في الإشراق للنفس البشرية، من خلال تعلقها بالله سبحانه وتعالى" (**ياسين**، 1980)

أما الفارابي فقد آمن بنظرية الفيض وأدخل مسالة التوفيق بين العقل والوحي في تقديره، فسمى العقل الفعّال بالرّوح الأمين، وسمى العقول بالملائكة وسمى الأفلاك التي فيها العقول بالملأ الأعلى. (**مصطفى**، 1999).

لقد غزى هذا الفكر المجتمعات الإسلامية وأصبح ظاهرة حقيقية في كل مراحل تاريخها، ففي زمن الرفاهية وُجد المتصوفون الزاهدون وكذلك في أوقات الضعف والفقر انتشر التصوف أيضا وازدهر، حيث ومع تنامي الجهل اختلط التصوف بالكثير من البدع والمعتقدات الدخيلة على العقيدة السليمة.

لم تكن الجزائر في منأى عن هذه الظاهرة فشهدت الكثير من رجال التصوف الذين ذاع صيتهم منذ العهد الفاطمي الذي حمل راية أهل البيت ودعا إلى تمجيدهم، أمّا في عصر المرابطين فقد اشتد السجال بين المالكية ودعاة التصوف مما حَدّ من تلك الظاهرة عقوداً من الزمن كما ذكر ذلك مبارك الميلي، أمّا في الفترة الموحدية فقد ظهر الكثير من المتصوفة المرموقين نذكر منهم **أبومدين شعيب الأندلسي** دفين تلمسان المتوفى سنة 1194م **وعبد السلام بن مشيش** المتوفى في 1228م **وأبو الحسن الشاذلي ومحي الدين بن عربي** الأندلسي **وعبد الحق بن سبعين** وأصبحت الجزائر موطنا للطرق الصوفية الآتية من الشرق كما نشأت فيها الكثير من الطرق الجديدة خاصة بعد استفحال ظاهرة التصوف الشعبي ابتداء من القرن العاشر الهجري أين تعددت الطرق الصوفية بعد أن أصبح كل شيخ يَدّعي الولاية ويزعم أن له طريقا موصلا إلى الله، ومن أشهر تلك الطرق الكثيرة **القادرية والعمارية والبو علية والبكائية والرحمانية والتيجانية والسنوسية والشاذلية واليوسفية والعيساوية** وغيرها كثير. (**محمد**، 1432هـ)

2.2 **التصوف في الفن التشكيلي**: كسائر الفنون فقد تأثر الفن التشكيلي بالنزعة الصوفية حيث نشأ التصوف التشكيلي وبدا جليا وواضحا من خلال الأسلوب التجريدي الذي حمل كل مواصفات التصوف وتصوراته، يقول الدكتور حسن محمد حسن في تعريفه للتجريدية:"...إنه صوفية الفن تلك التي تهدف عن طريق الرمز إلى ما وراء الطبيعة للوصول إلى المطلق، ...وسواء كان التجريد هندسيا شاملا أو جزئيا بتبسيط الأقواس والمنمنمات أو كان تجريديا كاملا أو نصف تجريدي، فإنه يعطي الإيحاء بمضمون الفكرة التي يقوم عليها العمل الفني". (**حسن**، 2005) إن النزعة الصوفية هي الملهم الحقيقي **لكاندانسكي** حين وضع الأسس الأولى للمذهب التجريدي في العام 1910 ويجزم في ذلك حسن محمد حسن في كتابه مذاهب الفن المعاصر "أما المصدر الأساسي للفن التجريدي إنما يتعلق بتلك النزعة الصوفية الشائعة في مختلف الديانات منذ أقدم العهود". (**حسن، مذاهب الفن المعاصر**، 2005).

أما جواد عبد الكاظم فقد ذكر قائلا: "أما التجريدية فإنها موازية للتجربة الصوفية، أو كأنها نوع من التصوف، وقد نعتها البعض بصوفية الفن". (**الزيدي**، 2009)

ولم تلبث أن ظهرت التجريدية في الفن التشكيلي أول مرّة على يد الفنان الروسي **فاسلي كاندانسكي** حتى غزى التجريديون المعارض والتظاهرات واكتسحوا المنابر بأفكارهم الغارقة في العمق والوجدان والروحانية، وقد وضع **كاندانسكي** كتابا ضمّنه أفكاره التجريدية وأسماه "**الرّوحانية في الفن**"، ومن بين أهم الفنانين التجريديين بعد **كاند نسكي** نذكر **بيات موندريون و كازميرماليفيتش و جاكسون بولوك**.

لتصبح التجريدية بعد ذلك مذهبا شائعا فرض كيانه وحضوره على المشهد التشكيلي العالمي، إلا أن هذا لا يعني غياب التجريد أو التصوف التشكيلي قبل ذلك، فأعمال الفنانين القدماء لم تخلوا من التصوف الذي ظهر في الفنون التشكيلية المختلفة من خلال الرموز والعلامات التي توحي بذلك الارتباط الروحي وتعطي مكانة سامية لمنطق المثل المجردة من

الصفات الأرضية البائدة، نذكر منها الفن الأوروبي الغربي الذي ساد خلال القرون الوسطى واستلهم وجوده من الفكر الديني إذ كان تابعا بشكل مباشر لرجال الدين وكان يعبر في جوهره عن الورع والزهد والحبّ الإلاهي المطلق الذي لا يبحث عن الأدلة الملموسة المقنعة ويهيم في ارتباط روحاني عميق لا حدود له.

أما في الفن الإسلامي فلا يمكن إغفال ذلك الأثر البارز للنزعة الصوفية على الفنون التشكيلية الإسلامية وبالأخص الزخرفة والخط العربي، حيث يمثل الخط العربي الفن التجريدي الإسلامي ويعتبر الوجه الروحاني للفن الإسلامي حين اعتمد أشكال الحروف المجردة في صور وتشكيلات بديعة تسموا بالذوق والوجدان إلى أسمى الدرجات من الوجد والمتعة الروحية، باعتراف كل الباحثين والفنانين الغربيين وعلى رأسهم الفنان الإسباني الشهير **بابلو بيكاسو**.

3_2 الصوفية في الفن التشكيلي الجزائري

عرف الفن التشكيلي الجزائري منذ بداياته الأولى حضورا لافت للنزعة الصوفية، ولعل الصور الأولى لذاك التأثر ما قام به ناصر الدين دينيه الذي ارتبط اسمه بأحد الصوفية في منطقة بوسعادة وهو الشيخ **سليمان إبراهيم** حيث قضى برفقته سنوات هناك بين تلك الأجواء الصوفية، والتي انتهت به إلى إعلان إسلامه في العام 1913م (**لمجد**، 2013). وزيارته البقاع المقدسة سنة 1927م، تضمنت لوحات دينيه أروع وأجمل المشاهد الصوفية نذكر لوحة عودة الحجيج والصلاة والموكب والدعاء ومشاهد طلبة الكتاتيب وغيرها، أما القطب الأول للفن التشكيلي الجزائري الفنّان **محمد راسم** فقد كان فنه في معظمه امتدادا وارتدادا للروحانية الصوفية من خلال تلك الزخارف واللوحات الخطية أو تلك المشاهد الدينية والعادات والتقاليد الإسلامية السائدة في المجتمع الجزائري، كما سار على نهجهم من تبعهم من الفنانين التشكيليين الجزائريين الأوائل أمثال **أزواو معمري** الذي تكاد تنطق جدران البنايات فيها بتراتيل الوَجد والذكر الذي يملأ المكان، ومثله **عبد الحليم همش ومصطفى بن دباغ**، ليتجلى التصوف في تجريدية **محمد خدة** وعبد القادر قرماز وغيرهم من الفنانين الكبار.

في السنوات الأخيرة ظهر جيل عريض من الفنانين عمل أغلبهم على ترسيخ التراث الصوفي الثري والرائع في أعمالهم الفنية وبالأخص الذين اختاروا التوجه نحو **المدرسة الحروفية** التي مزجت بين الفن الإسلامي متمثلا في الخط العربي والفن الغربي متمثلا في الأسلوب التجريدي وهو ما أنتج مدرسة تشكيلية صوفية فريدة ورائدة. نذكر من منهم خالد سبع، عزيز عياشين، وحمزة بوخلدة والطيب العيدي، ومحمد كرور، وكذا الفنانين التجريديين أمثال محمد دميس، وبختي بن عباس، ومراد عبد اللاوي، وجمال طالبي، وغيرهم....

3_ دراسة العينات

3_1 **مجتمع البحث**: لم يكن بالوسع معالجة هذا الموضوع من خلال جميع الأعمال التشكيلية للفنانين الجزائريين منذ القرن التاسع عشر نظرا للتنوع الشديد ولكثرة الرسامين والعدد الهائل من اللوحات، لذا فقد حددنا مجتمع البحث والدراسة وحصرناه في الفنانين التشكيليين المعاصرين وبالتحديد من 2010 إلى 2020 محاولين بذلك أخذ صورة حقيقية وميدانية لهذا التوجه في الوقت الحالي وفي الظروف الحالية، معتمدين على خبرتنا ومشاركاتنا مع هؤلاء الفنانين في مختلف المعارض واللقاءات، وكذلك عن طريق التواصل معهم بطريقة مباشرة أو بواسطة وسائل التواصل الاجتماعي. وكذا متابعتنا للأحداث بشتى الوسائط المقروءة والمكتوبة والمشاهدة.

3_2 **عينة البحث**: نظرا للكم الهائل من الأعمال المنجزة خلال الفترة الأخيرة فقد اجتهدنا في معاينة أكبر عدد ممكن منها وانتقاء بعضها كعينة لهذه الدراسة، وقد أرجعنا اختيار العينات إلى العوامل التالية:

أ. وضوح التوجه العام لأسلوب الفنان في أغلب أعماله نحو النزعة الصوفية.

ب. اللوحة المختارة عمل تشكيلي متكامل من حيث التركيب والتقنية والأسلوب وجلاء الملامح الصوفية.

أدوات البحث : لغرض الوصول إلى الهدف المحدد لهذا البحث اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي الذي يساعدنا في:

أ. قراءة الأعمال الفنية المختارة

ب. تحليلها

ج. تفسيرها

د.استخلاص المضامين المرتبطة في مظاهرها البصرية بالصوفية.

مما يضع هذا العمل المتواضع في خانة الأعمال النقدية التشكيلية المتخصصة أو الباحثة عن بعض التفاصيل التي يغفل عنها الكثيرون في قراءتهم وتقييمهم للأعمال الفنية التشكيلية، كما اعتمدنا على خبرتنا المتواضعة في ممارسة الفن التشكيلي والتواصل مع الفنانين من خلال المعارض والفعاليات التشكيلية بإجراء المقابلات معهم.

3_3 تحليل العينات

العينة الأولى

عنوان اللوحة : الإنسان وادراك الوجود (**مخالدي**، 2017)

صاحب اللوحة : جمال رويس(1*).

مقاس اللوحة:50/70

تاريخ الإنجاز: 2017

الخامة والحامل : ألوان زيتية على القماش

قراءة اللوحة: يجتمع في هذه اللوحة عدد من العناصر التشكيلية كالعناصر المعمارية مثل القباب والنوافذ والأبواب والأقواس والأصوار والمقرنصات كما نجد القمر والإنسان، كما عمد الفنان على تدريج الألوان وتحقيق انسجام جميل بينها، لتمثيل الضوء والظل بأسلوب سلس، عمد الفنان إلى اختزال الخطوط أو إهمالها في الكثير من الأحيان فابتعد عن التدقيق في توضيح الملامح، ينشأ بين تلك العناصر حوار عميق يبدوا أكثر وضوحا بين القمر وشخص المرأة الجاثم على اليمين، حوار تشوبه الحيرة والخشوع والترقب يظهر ذلك جليا في ملامح المكان ونظرات الشخص نحو القمر الذي يعلوا السماء ليملأ المكان نورا وألوانا، إنها النظرة الصوفية المتأملة في هذا الوجود والباحثة عن تلك الحقائق الخفية في أعماق الكون، لتظهر بينهما مدينة توحي بقدسية المكان وروحانيته، يستطيع المشاهد أن يلحظ وبكل سهولة تلك النفحات الإيمانية المنبعثة من خلال تلك النوافذ المربعة وتلك القِباب الجميلة وحتى الجدران والأقواس كلها علامات توحي بتلك النفحات الإيمانية الصوفية، وتزيد الألوان من شاعرية المناخ بذلك الدفء الذي تصنعه الألوان الحارة مثل الأحمر والأصفر والبرتقالي وكل التدرجات الناتجة عنهما، أما تقنية التلوين فتبدو اللمسات رهيفة بألوان تميل إلى الشفافية، يبحث الفنان من خلالها على الصفاء والنقاء والبساطة أيضا إنها جميعا ملامح روحانية صوفية لا شك فيها.

العينة الثانية

اسم اللوحة: ألف ليلة وليلة

صاحب اللوحة : عياشين عزيز(2*)

أطوال اللوحة : 65/50سم

المواد المستعملة : أكرليك على القماش

تاريخ الإنجاز: 2017

قراءة اللوحة: تتشكل هذه اللوحة من مجموعة من العناصر المعمارية ممزوجة بالحرف العربي مما يجعل منها عملا حروفيا، وُفِّق الفنان عزيز عياشين وإلى حد كبير في المزج بين تلك العناصر وجعل منها وحدة مترابطة، وقد تميزت تلك العناصر بتبسيط الخطوط والأشكال وكذلك الألوان، حيث جاء تركيب اللوحة ملهما وساحرا يبعث في المشهد كل معاني التأمل والخشوع، حيث انسجمت الإيقاعات الخطية واللونية لِتضفي جوا مهيبا يربط العمران العربي الإسلامي الراقي بالقمر الذي جعله الله عز وجل في السماء متجليا بفيض من الجمال والعظمة، فكانت هذه اللوحة قطعة روحانية يتعانق فيها العمران بالحرف العربي محاورا القمر وظلمة الليل في أجواء مهيبة لا يدركها إلا متصوف ولهان بالتأمل والهيام في عظمة الخلق و جلال الخالق، إن اختزالية الشكل وبساطته وبهاء اللون وصفائه كلها علامات صوفية حقيقية جعلت من هذا العمل التشكيلي يعبر عن انتماء وارتباط قوي بتلك النزعة الصوفية الحاضرة في أعماق المجتمع الجزائري.

العينة الثالثة

اسم اللّوحة: هذه مدينتي

صاحب اللوحة: محمد كرور(3*)

تاريخ الإنجاز: 2016

مقاس اللوحة: 60/120سم

الخامة المستعملة: ألوان الأكر ليك

الحامل: القماش

قراءة في اللوحة: ظهرت اللّوحة في تركيب فني جميل وممتع حيث ومع بساطة العناصر المشكلة لها تضع المشاهد أمام زخم من الكائنات التشكيلية تتقدمها تلك الرّموز والعلامات البارزةً مثل اليد والطيور والنجوم وتظهر خلفها معالم مدينة تبدوا جلية قبة مسجدها وتتراءى نجومها، كلّ ذلك في خلفية ليلية مُرَصَّعة بالنجوم توجه العين فيها دوامة جميلة تذكرنا بلوحة الفنان الشهير فان سون فان غوغ (ليلة مقمرة)، مثلما بَسَّط الفنان أشكال لوحته اختزل ألوانها فكان السّواد سائدا واعتمد الرّقش غير المنتظم ببعض الخطوط والأشكال المتنوعة باللّون الأبيض تظهر تلك الأشكال وكأنها طلاسم وتعويذات أنتجت مشهدا غرا فيكيا رائعا في انسجام بديع للعناصر، وكأنها في حوار روحاني يشد القلوب إليها شدّا.

وتتجلى في هذه اللوحة الملامح الصوفية من خلال الرموز والعلامات المستعملة في تشكيل اللّوحة مثل الحمام والقُبّة والنجمة وحتى تلك الاختزالية في الشكل واللّون علامة دالّة على النزعة التزهدية الصوفية، أضف إلى ذلك الحوار التأملي الواضح بين عناصر اللّوحة في وضع الحمام المقابل للقبة وتلك النجوم البديعة ثم الدوامة التي تسوق العين نحو القمر في شد بصري برع فيه الفنان محمد كرور إلى حدٍّ كبير.

العينة الرابعة:

عنوان اللوحة : تجليات(4*)

صاحبا للوحة: مراد عبد اللاوي

الأبعاد: 90/60

مواد الإنجاز: خامات مختلفة على القماش

سنة الانجاز:2016

قراءة اللوحة: ينتحي الفنان مراد عبد اللاوي بأسلوبه التجريدي المعاصر إلى ملامح جد متميزة لا نجدها عند غيره من الفنانين الآخرين، وقد وجدناه يوظف في أعماله العناصر التشكيلية المختلفة، كالرماديات الملونة، التدريجات الهادئة، الخطوط العفوية والتي تصنع بتلك العفوية أشكالاً بديعة هنا وهناك، أما اللون عند مراد عبد اللاوي يتسم بالبساطة والوضوح والسهولة البعيدة عن التعقيدات المرهقة للعين.

من خلال هذه اللوحة تستطيع العين أن تُبحر في عالم جميل هادئ وبسيط مليء بالأحلام والأمنيات، بتلك الفضاءات المتدرجة وبسلاستها الممتعة، لنقرأ فيها الصفاء النّابع من نفسية الفنان المنفتحة والمتفتحة، وبساطة الفكر ووضوحه،

ونقاء النفس، وانتشار بعض الخطوط والأشكال يلفت إلى عوالق الحياة ومحطّاتها، ويثري العين بحراكٍ جميل بتنوعه و إيقاعاته الممتعة في انسياب بصري جميل، بهذه المواصفات تكون هذه اللوحة قد شقت طريقا واضحا نحو عالم التصوف المتميز بالصفاء والنقاء والسمو نحو المشاعر الروحانية والمنزهة عن شوائب الدنيا المادية.

العينة الخامسة:

عنوان اللوحة : حضور Presence

صاحب اللوحة : الطيب بختي بن عباس(5*)

الأبعاد : 80×80سم

الخامة والحامل : أكرليك على القماش .

سنة الإنجاز :2018

قراءة اللوحة: الملاحظ على الطيب بن عباس أنّ بنية لوحته تتشكل من كتلة وفضاء، تتسم الكتلة بالكيان والحركة بينما يتجه الفضاء إلى الهدوء والاتساع، ممّا يسمح للجسم بإبراز ماله من عنفوان و عبقرية الحركة والقوة والدلالة فتبدوا تلك المكونات وكأنها مخلوقات تبحث عن حيِّز في هذا الواقع، وهو ما يكسبها الدلالة والتعبير والإيحاءات في جوٍ من الخلفيات التي تنبض بالاتساع والوضوح والهدوء، نستشعر كل ذلك بعد ان تلج العين بين أحضان اللّوحة وهي تنتقل من عنصر إلى آخر بسلاسة وارتياح كبير، ذلك لأن القيم الجمالية من خلال القواعد الفنية تلتف مجتمعة لتحقيق ذلك الغرض كما يعمل الانسجام اللّوني مع الأنية على تحقيق جاذبية لتلك التركيبات المجردة، فتكون بذلك كل التوجهات الصوفية حاضرة في تعبيراتها المترفعة عن التمثيل والتشخيص نحو سمو روحي نقي حالم في الوجد والانعتاق الذي لا حدود له.

تمتاز هذه اللوحة بتجريدية صرفة واضحة المعالم وفية لأصولها الكوندانسكية، ما يميزها أيضاً الفضاءات اللّونية الرمادية التي تحوي توهجات شكلية بالغة التجريد، نجد الخلفية عموماً تتّسِم بالاتِّساع الهادئ الذي تُبرِزُه نعومة الملمس النّاتج عن الحركة المهذبة للفرشاة على سطح اللّوحة، ثم ذلك العنف الذي يَظهر على الخطوط المشكّلة لتلك الأشكال المجرّدة والتي تتوسط الفضاء وتحتل صُلب اللّوحة.

في آخر معرض له برواق محمد راسم كتب عنه مراسل جريدة المساء الثقافي "يقترح الفنان طيب بن عباس بختي حركات أكثر شمولاً من خلال لوحات تحمل بين طياتها الهروب والإبحار، كما يعرض الفنان التشكيلي إحدى لوحاته التي ترتسم فيها ملامح مبنى يكاد يبرز تحت ستار أسود قد أرخى سدوله على "قصبة الجزائر" بصورتها الباهتة والمتهالكة في الوقت الحالي" .

إنّ اللّوحة عند الفنان الطيب بن عباس حكاية لها بداية وتحمل كياناً وعقدة كما لها نهاية فهي زمانية مكانية بحتة تغوص بالمشاهد في أعماق الزمن بمشاهد البناء والهدم أو الانكسار أحيانا، ومشاهد القوة والضعف أحيانا أخرى لتضع المتلقي أمام حقيقة وقعت فعلاً أو أنها تحتمل الحدوث، فتكون اللّوحة بذلك بمثابة الدراما أو التراجيديا التي تجمدت في لوحة تتعدى الحدود الضيقة للإطار الخشبي.

4. خاتمة

يذهب المتصوفة إلى السمو بالاعتقاد وتَرَفُّعِه عن القيم المادِّية الملموسة ويبحثون في الأشياء عن اللب والجوهر السامي والنقي بعيدا عن التشخيص والتمثيل الملموس باستخدام الحواس، فتتكفل القلوب والأرواح بشد الارتباط والتواصل، وهي نفسها المبادئ التي تأسست عليها التجريدية فاستلهم بها التشكيليون صوفيتهم وراحوا يعبرون في لوحاتهم عن ذلك الارتباط بين الاعتقاد والفن بكل ما أتيح لهم من أساليب تشكيلية.

حضي التصوف بقبول كبير في المجتمع الجزائري، بل أصبح سائدا وأسلوب حياة تبناه الناس وجعلوا من المتصوفة قدوة لهم، ومن خلال هذه الدراسة وجد الباحث ذلك التوجه الواضح للفنانين التشكيليين الجزائريين نحو النزعة الصوفية، وقد خص بالدراسة والتحليل مجموعة منهم خلال العشرية الأخيرة، حيث عمل الفن التشكيلي الجزائري على ترجمة ذلك التأثر والتأثير للواقع الصوفي في الجزائر، فجسد ملامح الهوية ومعالم الشخصية الجزائرية المتمسكة بأصالتها وعقيدتها. وقد ساهمت الظاهرة الصوفية في إثراء الفن التشكيل الجزائري بالكثير من العناصر الجمالية من خلال تلك الرموز والعلامات لتي احتلت الكثير من الأعمال التشكيلية.

واستنتج الباحث أنّ اللوحة التشكيلية نص بصري قادر على نقل كل الأحاسيس الروحانية التي قد تستعصي على الأدباء والشعراء، حيث تعمل الخطوط والأشكال والألوان على بعث تلك المشاعر الخفية والتي تنتقل في روحانية خافتة، وهذا ما يبدوا جليا في الأسلوب التجريدي أو الصوفية في الفن التشكيلي.

بالتأكيد لا ندعي أن جل الفنانين التشكيليين المذكورين في متن هذا البحث يعتنقون التصوف ويخدمونه بأعمالهم التشكيلية عن قصد، ولكنه بكل بساطة توجه تلقائي في أغلبه نابع من مدى الارتباط بين هؤلاء الفنانين وتوجهات المجتمع لأنّ الفنان في نهاية المطاف قطعة من هذا المجتمع يؤمن بما آمن به ويتألم لما يؤلمه ويتمتع بما يمتعه، ليصبح ما ذكرناه من قراءات مجرد اجتهادات مبنية على أسس وأدلة نراها كافية ومقنعة تعطي تبريرا لكل ما ذهبنا إليه.

ونخلص إلى تقديم اقتراح بضرورة البحث والدراسة في هذا الموضوع وما يشابهه من موضوعات قصد الوصول إلى فهم ودراية عميقة بالفن التشكيلي الجزائري، وجدنا هذا المجال عذريا خصبا يجهل الكثيرون جزئياته، وفي المقابل هناك طلبة وباحثين يتيهون بأبحاثهم في فنون الغرب على حساب الرصيد الفني والفكري الهائل بين طيات المجتمع الجزائري،

وكما نجد للتصوف مكانة واهتماما كبيرا في الفنون الادبية، حيث تخصص له الابحاث ويدرس كمقياس نرى أ،ه من المناسب جدا الاضطلاع بالمظاهر الصوفية في الفن التشكيلي بصفة عامة والجزائري بصفة خاصة

تضارب المصالح

❖ يعلن المؤلفون أنه ليس لديهم تضارب في المصالح.

هوامش

تعريفات بالفنانين التشكيلين عينة البحث

1*-**جمال رويس**: أستاذ التربية التشكيلية وفنان تشكيلي من مواليد 1964/08/04 بسيدي بلعباس.

- خريج المعهد التكنولوجي للتربية تخصص رسم فني سنة 1989

- بدا مشواره الفني انطلاقا من سنة 1989

- معارض ومشاركات عبر تراب الوطن

2***عزيز عياشين**: من مواليد الكريمية بولاية الشلف في 1979/10/06 خريج المدرسة الوطنية للفنون الجميلة، شارك في العديد من الفعاليات التشكيلية داخل الوطن وخارجه، فردية وجماعية، نذكر منها مصر، لبنان، فرنسا، وتونس، المغرب، دبي وتايون، وقد تحصل على العديد من الجوائز منها الجائزة الولائية الأولى في الفنون التشكيلية بالشلف والجائزة الأولى في المسابقة الوطنية للفنون التشكيلية والفنون البصرية بالأغواط.

3*-**محمد كرور**: من مواليد 17 ديسمبر 1985 سيدي بلعباس، خريج مدرسة الفنون الجميلة، شارك في 30 معرض جماعي وأكثر من خمس خيمات التي نظمتها جمعية البصمة للفنون التشكيلية، شارك في الأسابيع الثقافية لولاية سيدي أول معرض فردي من تنظيم جمعية البصمة 2017، ثاني معرض فردي بالعاصمة 2017...، ويعد معرض "الجاحظية" رابع معرض له على الصعيد الشخصي.

وتحصل الفنان على جائزة الشباب المبدع ومدارس الفنون الجميلة 2017، جائزة "علي معاشي" لرئيس الجمهورية للمبدعين الشباب 2017،

4*-**مراد عبد اللاوي**: من مواليد عين البيضاء بأم البواقي في 24أوت 1964 م خريج المدرسة الوطنية للفنون الجميلة بالجزائر العاصمة متحصل على شهادة التعليم الأساسي في مادة التربية الفنية التشكيلية، بدأ نشاطه التشكيلي منذ 1980م له مكانة بارزة في الوسط الفني التشكيلي داخل الوطن وخارجه، حيث شارك في العديد من المعارض المحلية والوطنية في مختلف الصالونات المنظمة عبر ولايات الوطن، وكذا المعارض الدولية التي جال من خلالها عبر مختلف الدّول الأوروبية والعربية نذكر منها بلغراد بصربيا مؤخرا وكذا فرنسا وتركيا ، لبنان ، مصر ، السعودية ، وتونس والمغرب وغيرها.

5*-**الطيب بختي بن عباس**: من مواليد 12 ديسمبر 1963م بمنطقة خميستي بتيسمسيلت، أحد الوجوه التشكيلية النشطة والبارزة من خلال المعارض الشخصية أو المشاركة في الصالونات الوطنية المنظمة من طرف وزارة الثقافة، خريج المعهد التكنولوجي للتربية بتيارت اشتغل كأستاذ للتربية الفنية التشكيلية متحصل على شهادة لسانس في الفنون التشكيلية من جامعة مستغانم يشغل منصب مفتش التربية والتكوين في مادة التربية الفنية التشكيلية لدى وزارة التربية الوطنية.

1. قائمة المراجع

2. ابراهيم, ف. (199). الجمالية في الفكر العربي. اتحاد الكتاب العرب.

3. ابن عربي , محي الدين. (1997). رسائل ابن عربي. تأليف محمود الغراب. بيروت: دار الصادق للطباعة والنشر.

4. أحمد شمس الدين. (1993). الكلاباذي، التعرف على مذهب اهل التصوف. بيروت: دار الكتب العلمية.

5. الزيدي, ج. ع. (2009, العدد52). الصوفية في الرسم الحديث. مجلة الاكاديمي, 54/39 .p.

6. القادر, ف. ع. (1999). الجمالية في الفكر العربي . اتحاد الكتاب العرب.

7. الكلاباذي. (1993). التعرف على مذهب أهل التصوف. بيروت: دار الكتب العلمية.

8. الكلاباذي. (1993). التعرف على مذهب أهل التصوف. بيروت: دار الكتب العلمية.

9. حسن محمد حسن. (2005). مذاهب الفن المعاصر. الامارات العربية المتحدة: مكتبة الفنون التشكيلية.

10. حسن محمد حسن. (2005). مذاهب الفن المعاصر. الامارات العربية المتحدة: مكتبة الفنون التشكيلية.

11. داود, ف. (2004). التصوف الاسلامي مفهومه وأصوله. حوليات التراث, .p 77/88.

12. ريد, هـ. (00). معنى الفن. مصر: مطبعة شباب محمد.

13. سامي, ا. ع. (1978). نشاة الفكر الفلسفي في الاسلام. مصر: دار المعارف.

14. شمس الدين أحمد. (1993). الكلاباذي . التعرف على مذهب أهل التصوف. بيروت: دار الكتب العلمية.

15. عبد الرحمن ابن خلدون . (بلا تاريخ). المقدمة. بيروت . لبنان: دار الفكر.

16. عبد الرحمن, ب. (1429هـ). موسوعة الفلسفة. Dans موسوعة الفلسفة (p.74). مصر: ذوي القربى.

17. عبد المنعم خفاجي. (1938). الادب في التراث الصوفي. القاهرة: دار غريب.

18. فيدوح عبد القادر. (2005). نظرية التأويل في الفلسفة العربية. دمشق:

الاوائل للنشر والتوزيع.

19. لمجد, ن. (2013). ناصر الدين دينيه حياته وأفكاره. Dans ناصر الدين دينيه حياته وأفكاره (p. 49). المسيلة الجزائر: دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع.

20. محمد مخالدي. (22 08, 2017). النقد الفني التشكيلي في الجزائر.

21. محمد مخالدي. (08, 2017). النقد الفني التشكيلي في الجزائر.

22. محمد, ح. ا. (1432ه, ذو القعدة 9). نبذة عن تاريخ الطرق الصوفية. Consulté le 01 20, 2020, sur موقع في طريق الاصلاح: https:// islahway.com/v2/index.php/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%82%D8%B3%D8%A7%D9%85/%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AA-%D9%88%D8%A8%D8%AD%D9%88%D8%AB-%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE%D9%8A%D8%A9/item/543-2014-05-26-16-17-40

23. مصطفى, ا. (1999). مفهوم العقل في الفكر الاسلامي. بغداد.

24. والاعلام, ا. ف. (2000). المنجد في اللغة والاعلام. بيروت لبنان: دار الشروق.

25. ياسين, آ. (1980). الكندي والفرابي. بغداد: دار الاندلس.

كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA

المؤلف محمد مخالدي، عزوز بنعمر (2021)، النزعة الصوفية في الفن التشكيلي الجزائري، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد13، العدد 01، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، ص.ص:161-169